

أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم

ثم لم تنزل مسائل الفن تكمل شيئاً فشيئاً إلى أن محض السكاكي زبدته وهذب مسأله ورتب أبوابه على نحو ما ذكرناه آنفاً من الترتيب وألف كتابه المسمى ب : () (المفتاح في النحو الصرف والبيان) () فجعل هذا الفن من بعض أجزائه وأخذ المتأخرون من كتابه ولخصوا منه أمهات هي المتداولة لهذا العهد كما فعله السكاكي في كتاب : () (التبيان) () وابن مالك في كتاب : () (المصباح) () وجلال الدين القزويني في كتاب : () (الإيضاح والتلخيص) () وهو أصغر حجماً من الإيضاح .

والعناية به لهذا العهد عند أهل المشرق في الشرح والتعليم منه أكثر من غيره وبالجملة فالمشاركة على هذا الفن أقوم من المغاربة وسببه - وإِ أعلم - : أنه كمال في العلوم اللسانية والصنائع الكمالية توجد في العمران والمشرق وأوفر عمراناً من المغرب . أو نقول : لعناية العجم وهو معظم أهل المشرق ك : () (تفسير الزمخشري) () وهو كل مبني على هذا الفن وهو أصله وإنما اختص بأهل المغرب من أصنافه : علم البديع خاصة وجعلوه من جملة علوم الأدب الشعرية وفرعوا له ألقاباً وعددوا أبواباً ونوعوا وزعموا أنهم أحصوها من لسان العرب وإنما حملهم على ذلك : الولوع بتزيين الألفاظ . (2 / 133) . وأن علم البديع سهل المآخذ وصعبت عليهم مآخذ البلاغة والبيان لدقة أنظارهما وغموض معانيهما فتجافوا عنهما .

ومن ألف في البديع من أهل إفريقية ابن رشيق وكتاب : () (العمدة) () له مشهور وجرى كثير من أهل إفريقية والأندلس على منحاها .

واعلم أن ثمرة هذا الفن إنما هي في فهم الإعجاز من القرآن لأن إعجازه في وفاء الدلالة منبه لجميع مقتضيات الأحوال منطوقة ومفهومة وهي أعلى مراتب الكلام مع الكمال فيما يختص بالألفاظ في انتقائها وجودة رصفها وتركيبها وهذا هو الإعجاز الذي تقصر الأفهام عن دركه وإنما يدرك بعض الشيء منه من كان له ذوق بمخالطة اللسان العربي وحصول ملكته فيدرك من إعجازه على قدر ذوقه فلهذا كانت مدارك العرب الذين سمعوه من مبلغه أعلى مقاماً في ذلك لأنهم فرسان الكلام وجهابذته والذوق عندهم موجود بأوفر ما يكون وأصح